من زاوية تربوية

" اقرأ"

إعجاز في القاريء والمقروء والقراءة

إعداد

أ.د/ خالد محمود محمد عرفان

أستاذ المناهج وطرق التدريس

كلية التربية بنين جامعة الأزهر بالقاهرة

من زاوية تربوية

"اقرأ "

إعجاز في القاريء والمقروء والقراءة

اقرأ ..أول كلمة نزلت على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولن اتحدث هنا عن القراءة وأهميتها ومهاراتها وأنواعها وغير ذلك، وانما استوقفني قول الله لرسوله على لسان جبريل "اقرأ "وهو -جل وعلا- يعلم جيدا أن رسوله أمي لا يقرأ ولا يكتب، وقد أشار الى ذلك صراحة بقوله :وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ)48 (بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ)49 (العكنبوت .يثبت القران الكريم أمية الرسول ورغم ذلك قال له عز وجل "اقرأ "وهنا قد يقول البعض إن من معاني القراءة هي القراءة من الذاكرة كما يفعل الشعراء وحفظة القرآن الكريم وليس القراءة من الصحيفة فقط.

وهنا يمكن القول إن هذا صحيح؛ لكن رسول الله لم يقرأ من الصحيفة ولم يقرأ من الذاكرة ، وإنما كان- صلى الله عليه وسلم- يقرأ بلسانه من قلبه في معجزة تضاف الى معجزة القرآن .وهنا سيقول البعض ما دليك ؟ وهنا نرجع الى القرآن الكريم الذي يقول ":وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ)192(نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ)193 (عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ)194 (بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ)195 (الشعراء

فهنا لم يقل على سمعك ولا بصرك ولا مخك وانما قال على قلبك ، وهو تعبير صريح حدد القلب بالذات ثم يسر الله القرآن على لسان رسول الله فقال ":فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا)97 (مريم، ويسر في اللغة أي سهل وهون ومهد؛ أي يسره من قلبه على لسانه؛ لذا عندما كان يتعجل رسول الله بالنطق وراء جبريل قال الله له ":لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ)17 (فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ)18 (ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ)19 (القيامة . (16) فقد كان رسول الله يسرع في نطق القرآن وراء جبريل حرصا منه على حفظه فطمأنه الله على هذا الامر بانه سبحانه وتعالى تكفل بجمعه وحفظه في قلب رسول الله ويسر قراءته على لسانه ثم بيانه للناس وبيان ما جاء فيه من أحكام؛ لذا لاحظ قوله "جمعه وقرآنه "والجمع في القلب وقراءته باللسان ولاحظ أيضا كلمة قرآنه فهي تعني قمة القراءة أي قراءة لسانك للقرآن على أفضل وجه؛ فالألف والنون تدلان في العربية على القمة إيجابا وسلبا؛ فتقول ريان أي ممتلئ بالماء، وعطشان أي خاليا تماما من الماء وقد جهز صدر وقلب رسول الله لهذا الحدث العظيم وهو نزول القران. على قلبه -صلى الله عليه وسلم- وذلك بان شرح جبريل صدر رسول الله ثلاث مرات؛ فغسل صدره ونظف قلبه وطرح منه مضغة هي حظ الشيطان؛ فاصبح قلب رسول الله صافيا في استعداد تام لنزول القرآن الكريم عليه؛ وقد تم ذلك ثلاث مرات)وهو غلام صغير كما جاء في حديث انس استعداد وحفظا له في مرحلة البلوغ - ثم عند البعثة استعدادا لنزول القرآن على قلب رسول الله- وعند الاسراء والمعراج استعداد للقاء الله عز وجل (وفي كل مرة يغسل جبريل قلبه وصدره في طست من ذهب بماء زمزم حتى قال انس كنت أرى أثر المخيط في صدر رسول الله؛ وبالتالي فقلب رسول الله نقيا مخلصا لا يختلط فيه القرآن بأمر من أمور الدنيا، قال تعالى ":أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ)١ (الشرح.

سواء الشرح المعنوي أم الشرح المادي كما جاء عن المفسرين وهنا يسأل سائل :وهل القلب موطن للعلم أم المخ؟

هناك معطيات علمية طبية حديثة تتحدث عن اكتشاف دماغ صغير في القلب مهيمن ومسيطر على الدماغالكبير فيالجمجمة، ويبلغ عدد خلايا هذا الدماغ حوالي 40 ألف خلية عصبية قلبية تفوق قدرتها قدرة خلايا الدماغ الكبير؛ حيث إن المجال الكهربائي للقلب أقوى بـ)60 (مرة من الدماغ الكبير، كما أن مجاله المغناطيسي أقوى بـ)5000 (مرة من المجال الذي يبعثه الدماغ الموجود في الجمجمة ويقولُ اللهُ تعالى" :أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ] "الحج :46[؛ لذا لا تتعجب اذا وجدت في القران الكريم أن الله يخاطب القلب في أكثر من مائة وثلاثين موضعا، وفي السنة في العديد من الأحاديث النبوية على أنه موطن للعلم الحقيقي لا الظني وموطن للايمان والفقه)د عاصم بلعاوي :الجمعية الاردنية لاعجاز القرآن والسنة (ويلاحظ انه عبر عن القلب بالبصر لان من معاني البصر إدراك الشيء ومعرفة حقيقته بالقلب عن طريق البصيرة ، وليس .إبصاره بالعين فقط عن طريق النظر والسؤال :لماذا كان القلب موطن القرآن وليس المخ؟

المخ موطن التفكير والعلم الكسبي الظني واتخاذ القرار، وهو أمر مشترك بين الناس جميعا؛ لذا كان رسول الله- صلى الله عليه- وسلم- يدعو ربه قائلا ":اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك "والناصية هي مقدمة الدماغ وهي مكان صناعة واتخاذ القرار كما ذكر ذلك علماء المخ ؛ لذا عاقب الله الكفار على سوء قرارهم بقوله ":كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ .نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ)16 (العلق(15)

والمخ للتفكير والقلب للتفكر؛ لذا الكافر والمؤمن كلاهما يفكر لكن المؤمن هو الذي يتفكر ، تصفح آيات القرآن الكريم تجد دائما يتفكرون لا يفكرون، ولم ترد كلمة التفكير سوى في قوله تعالى}:إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ)18(فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ)19 (ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ)20 (المدثر .بينما وردت .يتفكرون 18 مرة وهي اشغال القلب لذا نزول القرآن على قلب رسول الله ضمانة لعدم النسيان؛ لذا قال الله لرسوله ":سنقرئك فلا تنسى "ولاحظ هنا ان "لا "نافية وليست ناهية؛ فرسول الله ليس مسؤولا عن جمع القرآن وتذكره وقراءته على أكمل وجه ، إنما الله هو الذي تكفل بذلك فجاءت لا نافية لا ناهية، بينما نحن فيما بيننا يقول بعضنا لبعض "لا تنس ذكر الله "فلا هنا ناهية تنهاك عن النسيان؛ لانك المرجع في اشغال ذهنك وعدم نسيانك؛ لذا جبريل يأتي ويضم رسول الله الى صدره حتى يتصبب جبينه عرقا، وكأنه يشحن قلب رسول الله بالقرآن الكريم - ولله المثل الاعلى- ويقرأ القرآن ورسول الله يقرأ بعده ، وإذا رحل جمع الله ذلك في قلب رسول الله ، وما .على رسول الله الا ان يسترجع ما قلبه فيجري الله ما في قلبه على لسانه في معجزة أخرى للعالمين

فما أعظم المقروء، وما اكرم المقريء، وما أصدق القاريء؛

لذا فالقراءة تختلف عن قراءتنا نحن ؛ فنحننقرأ ثمنفكر ثم نتفكر ثم نعقل .بينما قراءة رسول الله من قلبه يجريها الله على لسانه فيتفكر فيها عقله فيزداد قلبه علما ويقينا بالله ؛ لذا حذر الله رسوله من انحراف قلبه عن أمر الله وما

نزل عليه من الوحي قائلا":وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ)44 (لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ)45 (ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ)46(الحاقةوالوتين هو نياط القلب وهو أكبر شريان يخرج من القلب يوزع الدم . المؤكسد على جميع جسم الانسان ويسمى طبيا بالشريان الأورطي، والقلب هو موطن القرآن . الكريم؛ لذا ستأتي العقوبة على موطن الضرر

لذا لا تتعجب من قول رسول -صلى الله عليه وسلم- :ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب).متفق عليه(

وقد قسم العلماء العلم نوعين :علم كسبي وأدواته الحواس وموطنه المخ، وهو مشترك بين المؤمن والكافر؛ لذا لا تتعجب عندما ترى عالما كبيرا في مجال ما ملحدا ومنكرا لوجود الله .والآخر العلم الفيضي وهو من الله وموطنه القلب وهو للمؤمنين فقط منحة من الله لهم "اتقوا الله ويعلمكم الله "كما علم الله رسوله .قال تعالى ":وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا " النساء .فرسول الله كان أميا ولكنه لم يكن جاهلا فقد علمه الله ما لم يكن يعلم فعلم العالم كله؛ وهذه معجزة اخرى فالقراءة والكتابة هما أداتا العلم عند الناس جميعا الا رسول الله؛ فأدوات علمه هي الوحي من الله الذي نزل على قلبه بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة في معجزة فريدة .اختص الله بها رسوله

إن ما سبق عرضه حول أمر الله لرسوله بالقراءة في قوله "اقرأ "يلقي بظلال رائعة على مفهومنا -:للقراءة ولتعليمنا وتعلمنا لها وأهم هذه الظلال مراعاة ما يلي

- تبني المدخل الوجداني في التعليم بصفة عامة وفي القراءة بصفة خاصة فهو يعني بميول .وتفضيلات واتجاهات وقيم المتعلمين؛ مما يجعلهم يقبلون على التعلم بحب
- اختيار المحتويات القرائية المحببة للمتعلمين والتي تتناسب مع اعمارهم وتفضيلاتهم .وميولهم
- .اهتمام المعلم بتنمية حب العلم والقراءة لدى طلابه
- العلاقة الطيبة بين المعلم والطالب فالطالب يحب العلم من حبه لمعلم العلم؛ لذا كان رسول الله حريصا على ان يحبه صحابته؛ بل جعل معيار ايمانهم مدى حبهم له "والله لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه ...الحديث

اختيار طرائق التدريس الممتعة كالاناشيد والالقاء اللغوي المعبر والدراما الممتعة فهي أكثر حيوية - واقناعا ومتعة للدارسين ، وقد استخدم جبريل الدراما مع رسول الله في تعليم الصحابة الفرق بين الاسلام والايمان والإحسان؛ حيث أقبل جبريل على رسول الله وصحابته في هيئة رجل شديد بياض الوجه والثياب ولا يظهر عليه أثر السفر في الحديث المشهور ..وبعد أن انصرف أخبر الرسول اصحابه بأن هذا جبريل جاء يعلمكم امور دينكم في موقف تمثيلي مبهر لن ينساه أصحاب رسول .الله ابدا الاهتمام بالقيم فهي التي توجه القلب ومن ثم الجوارح؛ فيتعامل الطلاب مع العلم وأهله باحترام ورقي، كما كان يفعل السابقون الذي كانوا يتوضؤون قبل إمساكهم بالكتب وجلوسهم في .حلقات العلم حبا واحتراما وتقديرا للعلم وأهله التلمذة والنمذجة في العلم فلا بد من وجود الشيخ والمعلم يقدم القراءة وغيرها أنموذجا أمام تلميذه كي يحاكيه ليس في العلم فقط، وإنما في حركاته وسكناته وسلوكياته وأخلاقه، وما ضاع العلم والاخلاق الا منذ ان غاب المعلم واصبحنا نستيشخ التقنيات بشكل مفرط، وقد قالوا قديما "من استشيخ الصحيفة ضاع منه نصف العلم "لذا القرآن أتى تواترا، ويعلم تواترا ومشافهة من شيخ الى شيخ ..وهكذا ربط المعرفة بالتطبيق ؛ فالرسول كان ينزل عليه القرآن منجما حكما في كل حدث أو قضية أو موضوع حتى أصبح رسول الله قرآنا يمشي على الارض، كما قالت السيدة عائشة، ولو أخذنا بذلك في حياتنا .لأصبحنا في مقدمة الأمم كما كنا إن نزول القرآن على قلب رسول الله جعل قلب رسول الله يقظان

حتى وهو نائم قال- صلى الله عليه وسلم-) ":تنام عيناي ولا ينام قلبي (رواه أحمد .فأني ينسى قلب .رسول الله حرفا من كتاب الله تعالى إن "اقرأ "عندما جاءت في صدر نزول القرآن الكريم كانت . اختيارا ربانيا ؛ فهي كلمة معجزة في فعلها وفاعلها ومفعولها تتصدر المعجزة الكبرى القرآن الكريم

والله أعلم